

اختيار القادة

من النبي ﷺ

درس في

الأسوة الحسنة :

■ اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، ليس عملاً سهلاً ، وهو سر نجاح الحكام والمحكومين في الحياة العملية وفي الحرب والسلام .
ليس عملاً سهلاً لأن النفس الأمارة بالسوء إلا من رحم ربك وقليل ما هم ، لا تميل إلى تولية من هو أفضل منها كفاية وعلماً وخلقاً ، وتميل إلى تولية من هو أقل منها كفاية وعلماً وخلقاً ، ليسهل سيطرة الحاكم على المحكوم ، وليبرز الحاكم ويبقى المحكوم في الظل .
وهو سر نجاح الحكام والمحكومين ، لأن القادة الصالحين عقيدة وكفاية ، هم الذين يقودون شعوبهم إلى النصر في أيام الحرب ، ويعينونهم على التقدم والنجاح في أيام السلم ■

من أهم الأسباب (الدنيوية) لانتصاره في أيام الحرب ، ونجاحه في أيام السلام . وكان عليه أفضل الصلاة والسلام ، يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصلة ، وكان يعرف ما يتميز به كل صحابي من (مزايا) تفيد المجتمع الإسلامي الجديد ، وكان يستعمل هذه المزايا استعمالاً كاملاً لخير هذا المجتمع ، وللمصلحة العامة للمسلمين .

وكان في الوقت نفسه ، يدرك ما يعاني كل صحابي من (نواقص) طبيعية ، وكان يتغاضى عن تلك النواقص ، ويغض الطرف عنها ، ويحاول تقويمها وتلافي محاذيرها ، وكان يذكر أصحابها بأحسن ما فيهم من مزايا ويشيد بها ، ويامر أصحابه بالتغاضي عن نواقص إخوانهم ، والإشادة بأحسن ما فيهم من مزايا ،

(الأنعام: ١٢٤) .

أما التأييد الإلهي بالوحي ، فيقتصر على الأنبياء والرسل وحدهم دون سواهم من الناس .

والنبي ﷺ هو الأسوة الحسنة للمسلمين كافة ، في كل زمان ومكان ، وفي مختلف الظروف والأحوال .

اختيار الرجال . . .

لقد وجدت بالدراسة المستفيضة لسيرة النبي ﷺ ، ولسير قادته العسكريين خاصة وغير العسكريين عامة ، أن من ضمن كفايات النبي ﷺ الفذة ، قابليته النادرة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب .

ووجدت أن هذه القابلية التي التزم بها التزاماً حازماً في حياته المباركة ، هي

وقد كان النبي ﷺ مؤيداً من الله عز وجل بالوحي ، وكان لهذا التأييد اثره الحاسم في توقيفه بشيراً ونذيراً ، ومشروعاً وقاضياً ، وسياسياً وإدارياً ، وقائداً وجندياً ، ومرتبياً ومعلماً ، وبشراً وإنساناً .

وهذا التأييد الإلهي بالوحي ، لا يمنع أن تكون لكفاياته الشخصية عليه الصلاة والسلام اثر حاسم أيضاً في توقيفه ، وهذه الكفايات هي القدوة والأسوة والمثل الذي باستطاعة المسلم أن يضعها نصب عينيه ، لاتخاذها أسوة حسنة وقدوة ومثالاً أعلى له في الحياة ، لأنها كفايات بشرية متميزة ، يمكن الطموح إلى اقتفاء آثارها ما استطاع المسلم إلى ذلك سبيلاً .

وصدق الله العظيم :

﴿ اللَّهُ أَغْلَمُ حَيْثُ يُجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

■ إن النفس الأمانة بالسوء ، لا تميل الى تولية من هو أفضل منها كفاية وعلماً وخلقاً .

■ القيادة الصالحون عقيدة وكفاية هم الذين يقودون شعوبهم الى النصر أيام الحرب و الى التقدم والنجاح أيام السلم .

ويغوى .
اما الذي لا كفاية له ، فيستوعبه
المنصب ويكون منصبه اكبر منه ،
فلا يفلح في عمله ولا يرتاح فيه
ولا يريح .

وطالما سمعنا من يتساءل : هل يُفضّل
صاحب العقيدة على صاحب الكفاية ،
ام يُفضّل صاحب الكفاية على صاحب
العقيدة ؟

وكثيراً ما ردّوا : الإخلاص ، أم
الكفاية ؟ وكثيراً ما يريد القائل :
الإخلاص لشخصه الكريم لا الإخلاص
للمصلحة العامة .

وفي غياب الالتزام بتعاليم الدين
الحنيف ، تولى أهل الإخلاص ، وبقي
أهل الكفاية طاقات معطلة ، فتعطلت
المصالح ، وشاعت الفوضى ، وحرمت
الأمة من القادرين على خدمتها .

والجواب على الذين يتساءلون ، يجب
أن يتوفر الشرطان الرئيسان في
القادة : العقيدة الراسخة ، والكفاية
العالية .

وصاحب العقيدة الراسخة دون كفاية
عالية ، يمكن أن يفيد في مجالات أخرى
غير القيادة ، كالتعليم والدعوة إلى الله ،
وإرشاد الناس .

وصاحب الكفاية العالية دون عقيدة
راسخة ، غالباً ما يعمل لنفسه أكثر مما
يعمل لغيره ، ولصلحته الشخصية أكثر
سما يعمل للمصلحة العامة ، وقد يضر
أكثر مما يفيد .

منتجة لصالح الإسلام والمسلمين .

شـرطان رئيسان . . .

كان الشرطان الرئيسان اللذان التزم
بهما النبي ﷺ في تولية القادة
واختيارهم لتولي المناصب القيادية
المختلفة ، هما :

الإسلام أولاً وقبل كل شيء ، فما
ينبغي أن يتولى قيادة المسلمين غير القادة
المسلمين الذين حسن إسلامهم .
والكفاية ، فالعقيدة لا تكفي دون
كفاية عالية ، والكفاية العالية لا تكفي
دون عقيدة راسخة .

إن العقيدة الراسخة شرط أساس
لتولية القادة ، حتى يعمل القائد في خدمة
عقيدته ومجتمعه أكثر مما يعمل لنفسه
ولعائلته ، وهذا هو سر تفوق أهل العقيدة
في أعمالهم على من لا عقيدة لهم أو لهم
عقيدة فاسدة .

إنهم يعملون بكل جهودهم ، لأنهم
يخافون الله ، وتحاسبهم ضمائرهم
الطاهرة الملتزمة ، ولا أزيد .

والكفاية العالية شرط أساس لتولية
القيادة ، حتى يبرز القائد في عمله ،
ويكون إنتاجه بعيداً عن الشوائب قريباً
من الكمال ، لأنه يعمل على هدى وبصيرة
معتمداً على كفايته ، ولا يعمل في فوضى
وتخبط لأنه محروم من الكفاية .

إن صاحب الكفاية العالية يستوعب
منصبه ، ويكون أكبر منه ، فلا يضل

تقديراً لهم ، وإعجاباً بهم ، وتشجيعاً
لهم .

وكان عليه الصلاة والسلام ، بهذا
الأسلوب الرائع الذي التزم به في كل
حياته المباركة : يشيد بالمزايا وينتفع بها
لخير المسلمين ، ويغض الطرف عن
النواقص ويقومها بالتي هي أحسن ،
ويتستر عليها ، ولا يفسح المجال أن
يشهر بها .

بهذا الأسلوب الحكيم الرائع ، كان
النبي ﷺ ، يبني المسلم ولا يحطمه ،
ويقوم المعوج ولا يكسره ، ويشيد
للحاضر والمستقبل ، لا للحاضر القريب
وحده ، ولا للساعة التي هو فيها .

لقد كان عليه الصلاة والسلام ،
لا يُبقي (المزايا) في أصحابه طاقات
معطلة ، بل كان ينتفع بها لمصلحة
المجتمع الإسلامي الجديد ، وهذا
يجعل طاقات أصحابه المتميزة تنطلق من
عقالها وتتضافر لشدّ أزر الأمة وتقويتها
ودفعها نحو البناء والنصر .

وكان عليه الصلاة والسلام ،
يعرف كفايات أصحابه وقابلياتهم حق
المعرفة ، فلم تُغفط كفاية ولم يُهمل
صاحب كفاية ، فاضيفت التجربة
العملية بعد تسخير تلك الكفايات إلى
أصحابها ، فصقلت تلك الكفايات ولمع
أصحابها .

وضع كل مسلم من ذوي الكفايات
التميزة ، في المكان المناسب لكفايته ، فلم
تبق تلك الكفايات معطلة ، وأصبحت

الكفر .

وقد ولى عليه الصلاة والسلام
عُيَيْنَةُ بن حصن ، لأنه كان سيد
غطفان ، وقد امتنع فخذ من أفضاء تميم
فلم يدفعوا صدقاتهم إلى المصدق الذي
بعثه النبي ﷺ إليهم ، فقال
النبي ﷺ :

« من لهؤلاء القوم الذين فعلوا
ما فعلوا ؟ » ، فانتدب أول الناس
عُيَيْنَةَ ، فبعثه النبي ﷺ قائداً على
سرية مؤلفة من خمسين فارساً من
الأعراب ، ليس فيهم مهاجري
ولا انصاري ، ويبدوان مبادرة عُيَيْنَةَ إلى
التطوع قبل غيره من الناس ، أدت إلى
توليته قيادة هذه السرية التي خلت من
المهاجرين والأنصار ، وهم المسلمون
الأولون الذين لا ينبغي أن يتأمر عليهم
غير القادرين من المسلمين الأولين ، إلا في
حالات نادرة جداً ولضرورة قصوى
وحكمة بالغة .

وولى عليه الصلاة والسلام
عَلْقَمَةَ بن مُجَرِّز المدلجي ، لأنه كان
ذا كفاية قيادية عالية جداً ، بالإضافة إلى
أنه أسلم وحسن إسلامه ، كما أسلم
ابوه مُجَرِّز وأخوه وقاص الذي استشهد
في غزوة (ذي قرد) (وذو قرد : ماء على
ليلتين من المدينة المنورة بين المدينة
وخيبر) وكانت هذه الغزوة في شهر ربيع
الأول من السنة السادسة الهجرية ، فهو
من أسرة إسلامية عميقة الجذور في
الإسلام ، كما أن مهمة سرية كانت
تعرضاً في البحر الأحمر بالقرب من مدينة
(جُدَّة) ميناء مكة المكرمة على البحر ،

مغوراً وشجاعاً مقداماً مندفعاً يحسن
التعرض والمطاردة ، والسريّة التي تولى
قيادتها مؤلفة من الفرسان ، مهمتهم
الاندفاع السريع والمطاردة ، وكان كرز
قد أسلم وحسن إسلامه .

وكان واحد من قادته من الذين
أسلموا بعد غزوة (أُحد) التي كانت في
السنة الثالثة الهجرية ، وهو عمرو بن
أمية الضمري ، ولأه النبي ﷺ
لشجاعته الفائقة ولتطوعه مختاراً لتحمل
الواجب الذي أوكل به إليه ، وكان عمرو
قد حسن إسلامه .

وكان خمسة من قادته من الذين
أسلموا قبل فتح مكة التي كانت في السنة
الثامنة الهجرية ، وهم : ابن أبي
العوجاء السلمي ، وخالد بن الوليد
المخزومي ، وعمرو بن العاص
السهمي ، وعُيَيْنَةُ بن حصن
الغزاري ، وعَلْقَمَةَ بن مُجَرِّز المدلجي .
وقد ولى ابن أبي العوجاء السلمي
على سرية من سرايا الدعوة ، إلى قومه
بني سليم ، لأنه أعرف بمدخلهم
ومخارجهم ، وأعرف بهم من غيره ،
لأنهم قومه يعرفونه ويستجيبون له أكثر
مما يستجيبون لغيره ؛ وقد أسلم ابن
أبي العوجاء طوعاً وحسن إسلامه ،
وكان حرياً أن يؤثر في قومه ليسلموا ،
ولكنهم لم يستجيبوا له وأصروا على

والامة لا تخلو من أصحاب العقيدة
الراسخة ، والكفاية العالية ، والحاكم
مسؤول عن استقطاب من يتوفر فيه
الشرطان الرئيسان .

العقيدة الراسخة ..

كان ثلاثون من قادة النبي ﷺ ، من
الذين أسلموا قديماً ، وكانوا من
السابقين إلى الإسلام .
وكان واحد وعشرون قائداً من
السابقين الأولين إلى الإسلام ، من الذين
شهدوا غزوة (بُدر) الحاسمة .

وكان هؤلاء الذين أسلموا قديماً ،
والذين شهدوا غزوة (بدر) خاصة على
جانب عظيم من الإيمان العميق ، وهم من
الذين ثبت إخلاصهم لعقيدتهم بشكل
حاسم ، لذلك كان النبي ﷺ يضع ثقته
الكاملة فيهم ويفضّلهم على غيرهم من
أصحابه في تولي المراكز القيادية .

ومعنى ذلك أن ثمانين بالمائة ممن تولى
المناصب القيادية من الذين أسلموا
قديماً ، وستين بالمائة منهم من البدرين .

وكان واحد من قادته ممن أسلموا بعد
الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة ، هو
كرز بن جابر الفهري ، ولأه النبي ﷺ
قيادة سرية من سراياه ، لأنه كان فارساً

■ القائد الذي لا كفاية فيه يستوعبه المنصب ويكون منصبه

أكبر منه فلا يفلح في عمل ولا يرتاح ولا يريح .

■ كان الرسول ﷺ لا يبقي المزايا في أصحابه

طاقات معطلة بل كان ينتفع بها لمصلحة المجتمع

الإسلامي .

ولعل في تولية خالد وعمرو القيادة مثالاً حياً عملياً على تحري النبي ﷺ عن الكفاية القيادية المتميزة مع العقيدة الراسخة ، لتولي المناصب القيادية في أي موقع من مواقع القيادة العسكرية والمدنية أيضاً .

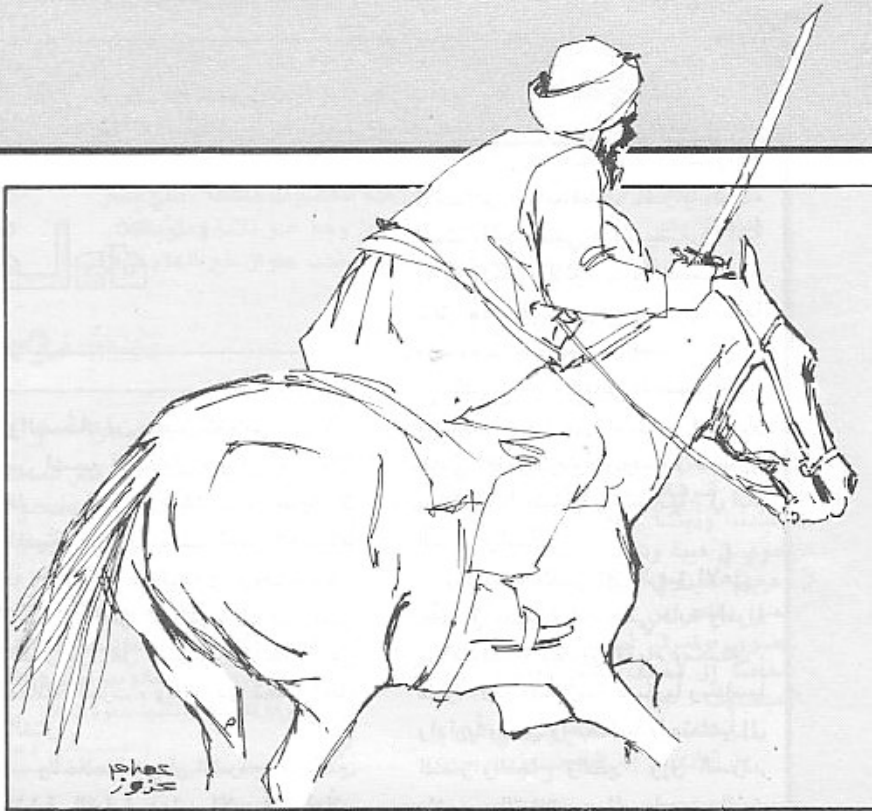
فقد سأل النبي ﷺ وهو بمكة المكرمة في عمرة القضاء التي كانت في شهر ذي الحجة من السنة السابعة الهجرية ، الوليد بن الوليد المخزومي أخا خالد بن الوليد رضي الله عنهما قائلاً : « أين خالد ؟! » ، ثم قال : « ما مثل خالد من جهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين ، لكان خيراً له ، ولقدّمناه على غيره » .

وكتب الوليد بن الوليد إلى أخيه خالد ، فكان ذلك سبب هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وإعلان إسلامه .

وقدم خالد بن الوليد إلى المدينة المنورة ، مهاجراً إلى الله ورسوله ، في أول يوم من أيام شهر صفر السنة الثامنة الهجرية .

قال خالد : « فلما طلعت على رسول الله ﷺ ، سلّمت عليه بالنبوة ، فرد عليه الصلاة والسلام بوجه طلق ، فاسلمتُ وشهدت شهادة الحق ، فقال النبي ﷺ : قد كنت أرى لك عقلاً رجوت الأيسلمك إلا إلى خير . وبايعتُ رسول الله ﷺ وقلت : استغفر كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله ! فقال : الإسلام يجبُّ ما قبله . قلت : يا رسول الله ! على ذلك ! قال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك ... فواش ما كان رسول الله ﷺ يوم اسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يحزبه » .

وما يقال عن خالد بن الوليد ، يقال عن عمرو بن العاص أيضاً ، فقد ولاه النبي ﷺ قيادة أصحابه في الجهاد بعد



القيادة ، لأنهم كانوا يتحلون بالعقيدة الراسخة فحسب ، إذ لم يُول النبي ﷺ القيادة للذين أسلموا قديماً كافة ، بل ولى قسماً منهم فقط لا يزيد عددهم عن ثلاثين قائداً . كما أن البدرين جميعاً لم يتولوا مناصب قيادية على عهد النبي ﷺ ، بل تولى منهم واحد وعشرون قائداً .

والذين تولوا القيادة على عهد النبي ﷺ ، يتوفر فيهم شرطان رئيسان : العقيدة الراسخة ، والكفاية العالية .

وقد تحدثنا عن أولئك القادة الذين تحلوا بالعقيدة الراسخة ، وهم دون استثناء يتحلون بالكفاية العالية ، وإلا لما تولوا مناصبهم القيادية دون غيرهم من أمثالهم .

ولى عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، لكفايتهما القيادية العالية ، كما أنهما أسلما وحسن إسلامهما ، وكان النبي ﷺ يعرفهما شخصياً ويعرف أنهما لا يُسلمان أبداً عن رهبة ولا لأسباب عاطفية ، بل إن إسلامهما عن رغبة وبعد تفكير طويل عميق وقناعة كاملة .

وكانت خبرة العرب يومئذ في الحروب البحرية نادرة جداً وقليلة للغاية ، فمن المحتمل أن تكون لعلقمة تجربة في البحر ، بالإضافة إلى كفايته القيادية المتميزة ، لينال شرف قيادة سرية من سرايا النبي ﷺ ، تنهض بمهمة واجب قتالي في البحر .

إن تولية ثمانين بالمائة من مجموع قادة النبي ﷺ ، من الذين أسلموا قديماً ، وستين بالمائة منهم من البدرين ، المناصب القيادية لسرايا النبي ﷺ ، دليل قاطع على أهمية العقيدة الراسخة في تولية القادة .

والذين تولوا القيادة من الذين لم يسلموا قديماً ، إنما تولوا مناصبهم القيادية بعد أن حَسُنَ إسلامهم .

إن العقيدة الراسخة شرط رئيس من شروط تولية المناصب القيادية ، وهو الشرط الأول من شرطين رئيسين .

والقائد الذي لا يتحلّى بالعقيدة الراسخة لا يمكن أن يأتي بخير أبداً ، وتاريخ الحروب خير دليل على ذلك .

الكفاية العالية . . .

لم يتسنى قادة النبي ﷺ مناصبهم

الإسلام ، واستقطاب المزايا لبناء المجتمع الإسلامي ، فلا يضعون لُبنة إلا في المكان اللائق بها والمناسب لها ، جعل هذا البناء يرتفع ويتعالى سليماً مرصوفاً يشدّ بعضه بعضاً .

وكان اختيار القائد المناسب للعمل المناسب سبباً من أسباب انتصار النبي ﷺ وخليفته وتوقيعهم عسكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، في أيام الحرب والسلام .

ولما التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى ، خلف في المجتمع الإسلامي قادة وأمرأ وولاة وقضاة وعلماء وفقهاء محدثين ، قادوا الأمة الإسلامية عسكرياً وسياسياً وإدارياً وفكرياً واقتصادياً واجتماعياً إلى النصر والنجاح والخير ، وإلى السؤدد والمجد والتوفيق ، وإلى طريق الحق وسبيل الرشاد .

وكان أولئك القادة هم من خريجي مدرسة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام .

واسلوب اختيار القادة ، هو الدرس الحيوي الذي يجب أن يتعلمه العرب والمسلمون حكماً ومحكومين في هذه الأيام وفي المستقبل أيضاً : أن يستفيدوا من الكفايات ولا يعطلوها ، وأن يضعوا الإنسان المناسب في الموقع المناسب .

لقد كان النبي ﷺ قمة من القمم الشاهقة نسياناً لذاته ، وتفكيراً في صالح المسلمين وإخلاصاً لمصالحهم العليا . لذلك خرّج في مدرسته القمم من جميع الكفايات والقابليات لمختلف المناصب والواجبات .

وصدق رسول الله ﷺ :
« مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةِ (جماعة من الناس) وفيهم من هو أَرْضَى شَهْرَهُ مِنْهُ ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ » [صحيح ، رواه الحاكم] .
ذلك هو رجل الدولة ، وهذا هو بيانها للناس ، وصفه عليه الصلاة والسلام في كلمات معدودات ، ولكنها تُغني عن مجلدات من المؤلفات .

والضخّك بن سفيان الكلابي الذي كان من أشجع الشجعان ، وكان يُعَدُّ بمائة فارس ، كما أنه مكث ربحاً طويلاً في المدينة المنورة إلى جانب النبي ﷺ سيفاً له ، وقد ولّاه على قومه في ظروف معينة ، ذلك لأن أهل الحضر ، أعرف بفنون القتال من أهل الوبر ، وأكثر صبراً على معاناة الحرب ، وأقدر على تحمل أعباء القتال .

والخلاصة هي أن الشرطين الرئيسين لتولية القيادة هما : الإسلام أولاً ، والكفاية ثانياً ، وهذان الشرطان هما القاعدة للتولية دون استثناء .

أما الشروط الأخرى : السابقون الأولون ، وأهل بَدْر ، وأهل الحضر ، فهي قواعد لا تخلو من استثناءات عند الضرورة القصوى .

وقد طبق أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما هذه الشروط نصاً وروحاً في تولية القادة ، ولم يحيدا عن هذه الشروط أبداً .

وقد استطاع النبي ﷺ والشيوخ من بعده : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، بتطبيق هذه الشروط في تولية القادة ، أن يجعلوا الصفوة المختارة من الأمة عقيدة وكفاية ، يقودون الأمة إلى النصر في أيام الحرب ، وإلى التفوق في النجاح في أيام السلام .

وما أسعد الأمة التي يقودها القمم من رجالها ديناً واقتداراً ، وما أسعد الأمة التي يقودها أفضل رجالها عقيدة وكفاية .

عبرة اختيار القادة . . .

إن استفادة النبي ﷺ وخليفته من بعده ، من مزايا كل مسلم حسن

إسلامه .
وقال عليه أفضل الصلاة والسلام عن خالد وعمرو لأصحابه الذين كانوا حوله حين قدما المدينة المنورة مسلمين :

« أَلَقْتُ إِلَيْكُمْ مَكَّةَ أَفْلاذَ كِبْدِهَا » .
لقد قدّم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كفايتهما القيادية الفذة ، إضافة إلى إسلامهما طوعاً واختياراً .

هكذا كان النبي ﷺ يستقطب حوله أهل الكفايات العالية ، من أجل خدمة الإسلام والمسلمين ، ولتكون راية الله هي العليا . وكلمة الله هي العليا .

شروط أخرى . . .

كان عليه الصلاة والسلام ، يقَدِّمُ السابقين الأولين إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار في توليتهم القيادة ، ما تيسرت لهم الكفاية القيادية العالية ، فالأقدمية في الإسلام لها وزن كبير ، وقد ذكرنا أن ثمانين بالمائة من قادة النبي ﷺ كانوا من السابقين الأولين إلى الإسلام .

وكان يقدم البدريين على غيرهم ، فلاهل بدر فضل عظيم على غيرهم من الصحابة الكرام ، وقد ذكرنا أن ستين بالمائة من قادة النبي ﷺ كانوا من البدريين .

وكان لا يُؤمَّرُ أهل الوَبْر على أهل الحضر ، أي أنه لا يستعمل أعرابياً من أهل البادية على عربي من أهل المدن ، فقد كان خمسة وثلاثون من قاداته الذين بلغ عددهم سبعة وثلاثين قائداً ، من أهل الحضر ، وكان قائدان فقط من قاداته عليه الصلاة والسلام من أهل الوبر هما : عُيَيْنَةُ بن حصن الذي تطوع للنهوض بقيادته وسبق غيره بتطوعه ،